الأنساق الثقافية:المفهوم والاشتغال

Cultural patterns concept and operation

العمري بوهزة *
مخبر الخطاب الصوفي
جامعة الجزائر 2
lbouheza@gmail.com

مهدية ساهل
جامعة الجزائر 2
Sahelmahdia@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 07-10-2021 تاريخ القبول: 24-11-2021

الملخص:

انتقلت النظرية النقدية المعاصرة، من قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، ومن ثم تم إعلان ميلاد النقد الثقافي بوصفه مشروعا بديلا عن النقد الأدبي، وأضحى الحديث عن السياق والأنساق.

إن هذه النقلة المعرفية التي أذنت بأفول الدراسات الأدبية، وميلاد مشروع الدراسات الثقافية، فرضت تغييرات جذرية على مستوى القراءة والتأويل حيث لم يعد النص هو المقصود بالقراءة والتأويل، إنما الأنساق الثقافية التي يحبل بها النص.

أتغيا في هذه الورقة البحثية رصد مفهوم النسق واشتغاله وفق آليات معلومة وكذا معرفة مدى فعاليته، بالإضافة إلى تداخل هذا المصطلح مع كثير من المصطلحات كالبنية والسياق والوظيفة.

الكلمات المفتاحية: نسق؛ أنساق ثقافية؛ نقد ثقافي؛ دراسات ثقافية.

Abstract:

The modern critical theory has shifted from the literary reading to the systématic Reading then, cultural criticism has been announced as alternative of literary criticism, only context and system have prevealed.

This leap that declared the disappearance of literary studies and the birth of the cultural criticism that made changes at the level of reading,so as the text is not the objective by reading but, the different cultural systems that the text contains.

My objective is tracking the concept of systems, methodology and effectiveness, in addition to the interference of this term with terms like structure, system and function.

Keywords:system –cultural systems- cultural criticism, culturel studies.

* -المؤلف المُراسل.

مقدمة:

إن للأنساق الثقافية على اختلافها وتنوعها في النص الأدبي أهمية بالغة في إنتاج الدلالة على أساس أن هذه الأخيرة تعبر عن نظام ثقافي منغرس قي ثنايا النص، فالأكيد أن الدلالة النسقية (التي أصر الغذامي على إضافتها) والجمل الثقافية لا تظهر بشكل جلي في النص لأنها تنتج عن قصدية المبدع.

وبذلك تكون الأنساق الثقافية نظاما متواصلا ومتوازنا تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق التكرار أو الممارسة بشكل لا شعوري غير قصدي وغالبا ما تكون خفية لا تظهر بوضوح في النص ولكنها تسعى إلى تحقيق أهداف مضمرة تعززها الثقافة السائدة.

وهذا ما قادنا إلى طرح جملة من الأسئلة من قبيل: ماذا نقصد بمصطلح النسق الثقافي؟ماهو مجاله العلمي والمعرفي الذي ينتمي إليه، ماهي خصائص هذا المصطلح؟ وما هي آليات اشتغاله،ومواطن تحركه، فضلا عن تداخله مع مصطلحات; كالبنية والسياق والوظيفة...

ولكي تستقيم منهجية البحث لا بد لنا من اللجوء إلى مفهوم النسق في اللغة والاصطلاح، ولنا أن نتكئ بشكل رئيس على أهم المنظرين في هذا المجال الذين رصدوا وتتبعوا نشوء المصطلح في حقول معرفية مختلفة.

1- ماهية الأنساق الثقافية:

1.1- النسق لغة:

عرفت اللغة العربية هذا المصطلح، الذي يرجع إلى جذره المعجمي المتمثل في (ن س ق) وهي مادة معجمية تعني النظام، ومصطلح النسق في اللغة العربية يدل على كل نظام في أي شيء، وقد ترددت لفظة النسق في أغلب المعجمات العربية، فقد ورد في لسان العرب: "النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف لابن سيّده، نسق الشيء: ينسقه نسقا، ونسّق نظّمه على السواء، وانتسق هو وتناسق، و الاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض; أي تنسقت"[1].

[1]– ابن منظور (2003)لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، مجلد 14، مادة نسق، ص 15.

أما ابن فارس فيقول معرفا النسق في مقاييسه: "النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض وأصله قولهم: "ثغر نسق" إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية"[1].

وكما يقول (الغذامي) فإن استخدام كلمة (النسق): "يجري كثيرا في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط، وقد تأتي مرادفة لمعنى (البنية-structure) أو معنى (النظام -system) حسب مصطلح دي سوسير، واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهوم خاص للنسق"[2].

وفي اللغات الأخرى نجد كلمة systém بالفرنسية وكلمة system بالإنجليزية حيث اعتمد قاموس أطلس، الإنجليزي العربي تعريفا هو:" مجموعة عناصر متفاعلة أو متبادلة العلاقة، أو معتمدة على بعضها البعض، مكوّنة كلا معقدا... منظومة تفاعل منسجم، منظم"[3].

إذاً فالنسق في المعنى اللغوي هو النظام العام لأي مؤسسة سواء أكانت مؤسسة ثقافية أم أدبية.

2.1- اصطلاحا:

مصطلح النسق من المصطلحات التي تحتل مكانة أساسية في لسانيات الخطاب والنص، لذلك عُرّف على أنه: "ما يتولّد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكوّنة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معيّنا يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول:" إن لهذه الرواية نسقها الذي يولّده توالي الأفعال فيها، أو أن هذه العناصر المكوّنة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتآلف وفق نسق خاص بها"[4].

---

[1]– ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(1999)مقاييس اللغة، دار صادر، بيروت، ط5، المجلد الخامس، ص 420.

[2]– عبد الله الغذامي(2001) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2،، لبنان، بيروت، ص 76.

[3]– قاموس أطلس إنجليزي–عربي(2003) دار أطلس للطباعة والنشر، ط1، مادة system.

[4]– نعمان بوقرة(2006) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،عالم الكتاب للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ص 39.

وقد شكّلت قضية النسق –بوصفه مصطلحا - جزءا لا بأس به من أعمال العالم اللساني "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand De Soussure" وبخاصة نظرية النسق اللغوي التي يرى فيها أن النسق هو: "تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها لا مستقلة عن بعضها..." [1].

ويعرف تالكوت بارسونز "T.Parsons" النسق بأنه: "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين، تتحدد علاقتهم بعواطفهم، وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"[2].

كما جاء مفهوم النسق أيضا في المعجم الفلسفي على أنه: "مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين بعضها مقدمات لا يبرهن عليها في النسق ذاته وبعضها الآخر يكون نتائج مستنبطة من المقدمات"[3].

يذكر محمد مفتاح أنه ليس هناك تحديد للنسق متفق عليه، فتحديداته تتجاوز العشرين، ومع ذلك يمكن تحديد نواة مشتركة، وهي أن النسق مكون من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين عنصر وآخر[4].

3.1- خصائص النسق:

للنسق عدة خصائص ومميزات يمكن تحديدها في النقاط الآتية:

- التميز والتكرار: جعل كمال أبو ديب صفة التميز والتكرار ميزة أساسية للنسق في قوله:"النسق ظاهرة تتضح من خلال التميز والتكرار"[5].

---

[1]– عبد العزيز حمودة(1997) المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص 184.

[2]– إديث كريزوبل(1993)عصر البنيوية، ترجمة، جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، ص 411.

[3]– مراد وهبة(2005م) المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط5، ص 645.

[4]– محمد مفتاح(1996) التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، ص 159.

[5]–كمال أبو ديب(1979) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، د.ت، ص 1096.

- معطى أولي:يشير أحمد يوسف إلى ميزة جوهرية ؟؟النسق في قوله:"من خصائص النسق أنه معطى أولي مرتبط بلا وعي العقل البشري وكونيته"[1].
- الحركية والتحول: يتميز النسق أيضا:" بحركيته وتحولاته وانتظامه الداخلي، كما أنه يمتلك مرونة التحولات،ويستجيب لمقتضيات التغيرات فيتكيف معها دون أن يتلاشى جوهره"[2]

- فكل شيء مكون عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.
- النسق له بنية داخلية ظاهرة.
- له حدود مستقرة، بعض الاستقرار يتعرف عليه الباحثون.
- قبوله من المجتمع لأنه يؤدي وظيفة لا يؤديها نسق آخر[3].

2- النسق الثقافي وإنتاج النصوص:

إذا كان النص هو غاية الغايات في النقد الأدبي-خصوصا في مراحله الشكلانية الأخيرة كالبنيوية والأسلوبية والسيميائية- فإن النقد الثقافي ينظر إلى النص كمادة خام، بحيث لا ينظر إليه بمعزل عن الظواهر الأخرى، ولا يقرأ لذاته أو لجمالياته فقط، بل يعامل النص بوصفه حامل نسق، وهذا النسق هو الذي يبتغي النقد الثقافي كشفه متوسلا بالنص في سبيل هذا الكشف، فالنص مجرد وسيلة لاكتشاف حيل الثقافة فيء تمرير أنساقها، وهذه نقلة نوعية في مهمة العملية النقدية حيث الأنساق هي المراد الوقوف عليها وليس النصوص، وبمعنى آخر فإن النقد الثقافي يستخدم أدواته للغوص في لاوعي النص، من أجل

[1]-أحمد يوسف(2007م) القراءة النسقية، سلطة البنية وهم المحايثة، الدار العربية للعلوم والنشر، منشورات الأختلاف، ط1، ص 122.

[2]-إبراهيم محمود خليل(2003) النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، ص 95.

[3]-محمد مفتاح(1996) التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، ص 159.

الكشف عن المسكوت عنه من الإشكالات الأيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص"[1].

انطلاقا من هذا فإن الأنساق الثقافية تحتل مركزا هاما في العلوم الإنسانية والاجتماعية والدراسات الثقافية والتاريخية، كما تتبوأ مرتبة خاصة في النقد الثقافي، كل هذا قادنا لتسليط الضوء أكثر على هذا المصطلح مفهوما واشتغالا.

1.2- مفهوم النسق الثقافي:

يعد "يوري لوتمان" "Y.Lotman" من النقاد الأوائل الذين قاموا بمقاربة مصطلح النسق ثقافيا، حيث عدّ النسق:"دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة"[2]، أي إن الأنساق أصبحت عند لوتمان هي التي تحدد الخصائص الكلية والشاملة للثقافة الإنسانية، وذلك عن طريق تتبع تطورها وتحولاتها عبر العصور.

ويبرز في الساحة النقدية المغاربية الناقد المغربي"عبد الفتاح كليطو كواحد من أبرز النقاد الذين اهتموا بالأنساق الثقافية، إذ يعرّفه في كتابه،"المقامات، السرد والأنساق الثقافية بأنه" مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية،استيقية... تفرضها في لحظة معينة من منظور الوضعية الاجتماعية التي تقبلها المؤلف وجمهوره"[3].

كما يعرفه الناقد الجزائري"أحمد يوسف" بأنه"نوع من المؤسسات ذات قاعدة اجتماعية"[4]، وهذا ما يجعل للنسق سلطة على الأفراد فيتحكم في تفكيرهم، وسلوكهم وتوجهاتهم.

توجد كثير من الدراسات التي (اهتمت) بالنسق ودوره داخل الثقافات والنصوص، ولعل الناقد السعودي"عبد الله الغذامي" من الذين ساهموا بشكل كبير بدراساتهم في

---

[1]– طارق ثابت(2018)النسق الشعري وبنياته، منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1،.

[2]– ضياع الكعبي(2005) السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط14، ص 22.

[3]– عبد الفتاح كليطو(2001) المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،ط 2 ، ص 8.

[4]– عبد الله الغذامي(2001) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان، بيروت، ص 72.

إضاءة عدة مسائل في هذا الجانب، وقد قدم تعريفا للأنساق الثقافية بأنها"أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما"[1]، ويرى كذلك أن النسق"يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد"[2].

انطلاقا مما سبق يمكن القول: إن الأنساق الثقافية هي أنساق تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق والنسق مرتبط بكل ما هو مضمر.

وتكون صورة الحال مع النموذج الاتصالي بعد إضافة العنصر السابع"النسق"System إلى وظائف اللغة كالآتي:[3]

الشفرة

السياق

الرسالة

المرسل ـــــــــــــــــــــــــــ المرسل إليه

أداة الاتصال

العنصر النسقي.

2.2 النسق الثقافي وتداخل المصطلحات:

كثيرة هي المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح (النسق System)، إذ أنها تترادف مع مصطلح "النسق الثقافي" في معنى ما، ومن هذه المصطلحات (البنية-الوظيفة، السياق، والخطاب).

البنية: Structure:

[1]– المرجع نفسه، ص 77.

[2]– عبد الله الغذامي(2001) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 66.

[3]– رافيندران(2012) البنيوية والتفكيك، تطورات النقد الأدبي، ترجمة خالدة حامد،دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، ص 18 / 19 .

تعرّف البنية على أنها" نسق من العلاقات الباطنة (المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانينه الخاصة المحايثة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية أو الانتظام الذاتي، على نحو يضفي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على معنى"[1].

أما ليفي شتراوس"يقر بكل بساطة أن البنية تحمل-أولا وقبل كل شيء-طابع النسق أو النظام ويعرفها زكريا إبراهيم في كتابه"مشكلة البنية" حيث يقول بأنها"نظام أو نسق"، ويقول جان بياجيه:"إن البنية هي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا..."[2]،"وبذلك تكون البنيوية مرتكزة على النسق أو النظام الذي يعني بالعلاقات التي تربط بين النسق الفردي للنتاج والنسق العام الذي ينتمي إليه هذا النوع أو ذاك، إذ إن البنائية تهدف إلى بناء المعرفة في سياق البيئة الاجتماعية أو الثقافية"[3].

نخلص إلى أن البنية مرادفة للنسق ومتداخلة معه، كما يمكن القول بأنها أشبه بعلاقة الجزء بالكل، فالنسق الثقافي يعمل بوصفه جزء من عناصرها الكلية، وتكمن أهميته في ترتيب وتنظيم هذه العناصر سواء أكانت نصوصا أم ألفاظا، بالإضافة إلى أن البنية لها أهمية كبيرة حين تترابط وتتآلف بين العناصر التي تميز النسق الثقافي"[4].

الوظيفة lunctionalism:

إن فكرة الوظيفة ظهرت في الدراسات اللسانية عند "دوسوسير" اللساني السويسري بأن اللسان مؤسسة اجتماعية، إذ بكل تأكيد سيؤدي وظيفة، فجاءت دعائم سوسير مؤكدة على الطابع الوظيفي.

---

[1]– زكريا إبراهيم(1976) مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ص 35.

[2]– جان بياجيه(1985) البنيوية، ترجمة عارف نيمنة و بشير أوبري ،منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط 4 ، ص 8.

[3]– أنظر، إفينداران، البنيوية والتفكيك، ص 18–19.

[4]– محمود علي أحمد(2019) الأنساق الثقافية في شعر عدي بن زيد العبادي، رسالة ماجستير، كلية التربية، ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ص 8.

"إن الوظيفة تعني العلاقة التركيبية التي ترتبط بين عناصر البنية فيما بينها... وعليه فالوظيفة لا محالة داخل شمولية النسق"[1]، حيث تصور الوظيفيون اللغة نسقا يشتمل على أنظمة فرعية محددة، وبالرغم من ذلك فإننا نجد أن هناك تداخل بين الوظيفة والخصيصة الأدبية "فالوظيفة الأدبية هي التي تسم العمل الأدبي وتكفل تميزه"[2].

وعليه فإن النسق لم يكن نسقا ما لم يؤد وظيفة ما، فالوظيفة جزء من النسق والبنية، فهي تتشابك معهما في أثرهما الذي يؤديانه.

السياق Contexr:

السياق متشعب واسع المعاني، يغوص في أعمق أعماق الحياة الإنسانية، يتشابك مع مصطلح النسق الذي يتولى تنظيم هذه الحياة، فهو يعمل على التنظيم المؤسس الفاعل، في حين يبرز السياق كقوة مؤسسة، ويأتي النسق ينظم الاتجاهات المتنوعة داخل البيت المؤسسي أو السياقي والعلاقة بينها علاقة الكليات بأجزائها، حيث الكليات سياق والأجزاء أنساق، والنص سياق يحيل إلى دلالات متنوعة تتشابك في منظومة متكاملة إلى أن تبلغ الدلالة الكلية، بينما النسق تفرعات النص الداخلية تتحاور داخله وتتجاور محدثة نقاشا عميقا.

إن النسق يتفق مع السياق فينصهر فيه ليخدم الإطار العام الذي وظف فيه، أو قد يتمرد عليه ليصبح نسقا مضادا، ويذكر محمد بن زيان في مقاله له بعنوان:" في النقد الثقافي" أن "النص الإبداعي يرجع إلى نسق وسياق، بين النسق والسياق علاقة جدلية تفاعلية، فالنسق متصل بالتشكل عبر التراكم التاريخي لمنظومة الأفكار والعلامات، والتشكل يحدث داخل سياقات والسياقات متصلة بأنساق قيمية وثقافية، وإحالة النص مرتبطة بمكونات ومؤثرات يظل المبدع يكابد لكي لا يظل أسيرا لها"[3].

وفي هذا الصدد تحدّث "ستيف أولمان" عن مصطلح (context السياق) واستعماله في معان متعددة ومختلفة، ولكن المهم فيه هو معناه التقليدي الذي يراه في النظم اللفظي

---

[1]– أحمد يوسف(2007) القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، ص 119.

[2]– أنظر : محمود علي أحمد(2019)الأنساق الثقافية في شعر عدي بن زيد العبادي،رسالة ماجستير، ص 8.

[3]– بن زيان محمد، في النقد الثقافي، قراءة النسق والسياق، www.djazairess.com.

للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة وعلى هذا "فإن السياق ينبغي أن يتصل بكل ما يحيط بالكلمة من ظروف وملابسات"[1].

2 . 3 وظيفة النسق الثقافي وفعاليته:

لقد شكلت الوظيفة النسقية فعالية كبيرة في الخطاب الأدبي من خلال:

1. يُحدّد النسق الثقافي عبر وظيفته، وليس المقصود وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد، ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان أحدهما ظاهر والآخر مضمر من أنظمة الخطاب، ويكون المضمر مناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد، أو ما هو في حكم النص".

2. أن تقرأ النصوص والأنساق على أنها حادثة ثقافية، فالنص هنا ليس نصا أدبيا وجماليا فحسب، ولكنه أيضا حادثة ثقافية، وبما أنه كذلك فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل.

3. النسق دلالة مضمرة، فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنها منغرسة في خطاب مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير من كتّاب وقرّاء يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود"[2].

4. النسق ذو طبيعة سردية يتحرك النسق في حبكة متقنة ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، ويستعمل أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجماليتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت المظلة الوارفة.

5. الأنساق الثقافية تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع، فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه، فالاستجابة السريعة والواسعة تُنبئ عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية وقد يكون ذلك في الأغاني والأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت[3].

---

[1]– ينظر،ستيفن أولانّ (1975)دور الكلمة في اللغة، ترجمة محمد بشير، مكتبة الشباب ، ط1 ، ص 57.

[2]– عبد الله الغذامي(2001) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 77–78.

[3]– المرجع نفسه، ص 79.

3- آليات والأدوات الإجرائية للكشف عن الأنساق الثقافية:

ينبني النقد الثقافي على مجموعة من الإجراءات التي تسهم في سبر أغوار النص، فالأداة الإجرائية تعد آلية ضرورية لكل منهج، فلا وجود لمنهج دون أدوات وآليات وإلا كان قاصرا، ويرى الغذامي أن تحرير المصطلح من قيد المؤسساتي هو الشرط الأول لتحرير الأداة النقدية، وذلك من خلال إجراء تحولات وتعديلات في المصطلح لكي يؤدي مهمته ولذلك اقترح الغذامي مجموعة من الأدوات الإجرائية للكشف عن الأنساق الثقافية:

1.3- المجاز الكلي Total image:

فقد دعا الغذامي إلى توسيع مجال المجاز، من حال الاهتمام باللفظة المفردة، أو بالجملة إلى الخطاب بمجمله، أي الانتقال به من قيمته البلاغية الجمالية إلى قيمته الثقافية، لكي يُولّد التعبير المجازي ولادة ثقافية تخضع لشرط الأنساق الثقافية[1].

2.3- التورية الثقافية Cultural oun:

إن نقل مصطلح التورية إلى حقل النقد الثقافي يستلزم توسيع المفهوم ليتجاوز المعنيين القريب والبعيد إلى حال الخطاب إجمالا الذي ينطوي على مضمر نسقي ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ ولكنّه وُجد عبر عمليات من التراكم حتى صار عنصرا نسقيا ينتظم الخطاب"[2]

3.3- الدلالة النسقية Culture sémantic:

يفترض أن للنص الأدبي دلالتين: دلالة صريحة مرتبطة بالجملة النحوية وبشروط التوصيل اللغوي وحدوده، ودلالة ضمنية مرتبطة قي النص الأدبي، بينما يضيف الغذامي دلالة أخرى يسميها: "الدلالة النسقية" تنتُجُ عن الجملة الثقافية، وهي ذات بعد نقدي ثقافي ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن

لتكون عنصرا ثقافيا فاعلا ظل كاملا في أعماق الخطابات من دون رقيب نقدي لانشغال النقدبالجمالي أولا، ولقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء[3].

---

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 67.

[2]-المرجع نفسه، ص 71–72.

[3]–المرجع السابق، ص،73.

4.3- الجملة الثقافية Cultural sentence: فإذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية "فلابد من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية أن تتولد وهذا ما يسمى بالجملة الثقافية"[1] وهو مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي تعززه الصيغ التعبيرية المختلفة وبهذا تكون الجملة الثقافية متولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة.

5.3- المؤلف المزدوج The double Athor: فهو حسب رؤية الغذامي أن المؤلف مؤلفان: الأول هو المبدع والثاني ذو كيان رمزي هو الثقافة التي تصوغ بأنساقها المهيمنة وعي المؤلف (ولا وعيه) على حد سواء.

ومهما حاول المؤلف أن يعبر عما يريد، فإن أفكاره ومواقفه ستكون صدى لفعل الثقافة فالثقافة مؤلف مضمر ذو طبيعة نسقية تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب، فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى التي تتسرب إليه كالمخدر البطيء، فتُرتّبُ محمولات خطابه بما يوافق المضمونات الإيديولوجية الخاصة بها"[2].

يمكن القول إن استراتيجية القراءة الثقافية لا تتحدد برؤية الناقد للنص في ضوء قواعد محددة سلفا، بل تتضح وتنطبق بوعي الناقد بالثقافة ومضمراتها، إذ يتم الكشف أثناء الدراسة النقدية عن أبعاد معرفية"[3]، أولها: يبحث في العلاقة المراوغة والمعقدة بين ذات المبدع وهذه الأنساق المهيمنة التي تجعل من ذواتها رهائن تتحرك في حدودها ولا تتجاوزها، وثانيهما: كشف الصراع/الصدام المعرفي المتسائل القائم بين الشاعر والأنساق الثقافية من ناحية، وتحليل التناقضات المضمرة داخل تلك الأنساق التي يفصح عنها التحليل الثقافي وتضمرها الثقافة، وثالثهما: البحث في أبنية الخطاب المعرفية والممارسات الفكرية التي تتيح للخطابات أن تتشكل وتنتشر.

2 سمات فعالية النسق الثقافي:

---

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 73.

[2]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 74–75.

[3]– عبد الفتاح أحمد يوسف(2009) قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، جامعة الملك سعود، الرياض، عالم الفكر الحديث، ط1، ص 4–5.

للنسق الثقافي سمات عدة تبرز فعاليته المنهجية وقد أوردها عبد الله الغذامي في كتابه "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية" على النحو الآتي:

– الذات الممدوحة مندمجة مع الذات المادحة في فعل مشترك فيما يشبه العقد الثقافي والمتواطئ العرقي القائم على المصلحة المتبادلة بين الطرفين، مع تسليم المؤسسة الثقافية بذلك الاندماج الحاصل بينها"[1].

– في النسق لا ترى الذات غضاضة من التحدث عن ذاتها ونسبة الأمجاد إليها نسبة مجازية لا يشترط لها دلالة غير دعوى الذات وتصديقها لما تقوله عن نفسها"[2].

– في النسق الشعري يأخذ مفهوم الفحولة معنى هو أقرب إلى العنف والبطش، ومن لم يكن ذئبا أكلته، ومن يظلم يُظلم، فليس من شأن النسق أن يرى عيوبه ولا يسائل عباراته ولا يبرهن على صدقه، إن له يدّعي فحسب، والمؤسسة الثقافية تحرس دعاويه وتصوغها، هذه هي التربية الشعرية النسقية"[3].

– في ثقافة النسق لا مكانة للمعارضة أو مخالفة الرأي، والآخر دائما قيمة ملغية ولا وجود لذلك الشاعر الذي يرى للآخرين موقعا مقاربا له، هذا إن كان يعد نفسه فحلا ولن تضعه الثقافة في مرتبة الفحولة إلا بعد أن يثبت مقدرته على إسكات أي صوت سواه.

– في النسق يجري تحويل القيم تنسب للعمل والفعل إلى قيم مجازية متعالية، وكما تم تحويل قيمة الكرم فإن قيما سياسية قد جرى تحويلها نسقيا من مثل قيمة الثورة التي صارت مجرد انقلاب فردي يتطبع بطابع العنف وتصفية الخصم، وإحلال جبار مكان جبار آخر، وكذا تحول مفهوم المواطنة ليعني الوفاء للزعيم الفرد كذات سلطوية ولا علاقة لذلك بالمواطن كقيمة اجتماعية إنسانية"[4].

---

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 194.

[2]– المرجع نفسه ، ص 195.

[3]– المرجع نفسه، ص 195.

[4]– ينظر، عبد الله الغذامي، المرجع نفسه ، ص 196–197.

وتأتي بعض القيم لتكسب دلالتها النسقية المجازية مثلها مثل كل النسقيات من حيث انفصالها عن المدلول الواقعي والمنطقي مذ كان النسق نموذجا شعريا وليس أنموذجا إنسانيا أو عمليا، هذه هي نتائج التنمذج الثقافي النسقي.

الخاتمة:

هكذا يتضح مفهوم الأنساق الثقافية بعد أن عرضنا لها منظومة مختصرة من التعريفات، وتنكشف صورها وأقنعتها التي تقبع تحتها وتظهر الوسائل الفنية والجمالية التي تمرر نفسها من خلالها، فالأنساق لها القدرة على التخفي والتواري، لأنها ترسبات مضمرة تكدست في عمق الخطاب الأدبي، فهي أنساق لها أفكار وتصورات تحمل في الغالب الأعم صفة الهيمنة والتسلط، وهنا تكمن فاعلية النسق الثقافي، لذا يتطلب الكشف عن هذه الأنساق منظومة إجرائية، فضلا عن مهارات وقدرات إبداعيةهائلة قادرة على الغوص في أعماق النص الادبي واستخراج ما يضمر تحت تربة الجمالي/البلاغي من أنساق ثقافية وفق تحليل موضوعي عميق.

قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن منظور(2003) لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط.
2. أديت كريزويل(1993)عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1،ص411.
3. أحمد يوسف(2007) القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، الدار العربية للعلوم والنشر، منشورات الإختلاف، ط1.
4. أحمد بن فارس بن زكرياء(1999)مقاييس اللغة، دار صادر، بيروت، ط5، المجلد الخامس.
5. إبراهيم خليل(2009) النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1.
6 بن زيان محمد(2021) في النقد الثقافي، قراءة النسق والسياق، www.dJazairess.com.
7 جان بياجيه(1985) البنيوية، ترجمة عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط4.
8 رافيندران، ترجمة، خالدة حامد(2012) البنيوية والتفكيك، تطورات النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.
9 زكريا إبراهيم(1976)مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة.
10 ضياء الكعبي(2005) السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.
11 طارق ثابت(2018)النسق الشعري، منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1.
12 عبد الله الغذامي(2001) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان، بيروت.

13 عبد العزيز حمودة(1997) المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.

14 عبد الفتاح كليطو(2001)المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2 .

15 عبد الفتاح أحمد يوسف(2009) قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، جامعة الملك سعود، الرياض، عالم الفكر الحديث، ط1.

16 قاموس أطلس إنجليزي-عربي(2003)دار أطلس للطباعة والنشر، ط1، مادة system.

17 كمال أبو ديب جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت.د،ط،د،ت،ص 109.

18 مراد وهبة(2005)المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط5.

19 محمد مفتاح(1996)التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي،بيروت ، لبنان ط1.

20 محمود علي أحمد(2019) الأنساق الثقافية في شعر عدي بن زيد العبادي، رسالة ماجستير، كلية التربية، ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد.

21 نعمان بوقرة(2006) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.